Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّة جَامعة بَابل للعُلوم الإنسَانيّة
Vol. 31/ No. 2/ 2023 المجلد 31/ العدد2/ 2023

صورة المرأة الباحثة عن الحرية وتحقيق الذات في روايات بخيب الكيلاني - رواية "النداء الخالد، رمضان حبيبي أنموذجًا"

سرى سليم عبد الشهيد المعمار
قسم ادارة الاعمال/ كلية الادارة والاقتصاد/ جامعة بابل
abdulkadhim.abass5@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 2023/1/9 تاريخ قبول النشر: 2023/1/18 تاريخ نشر البحث: 14/ 2/ 2023

المستخلص:

للمرأة أثر كبير في الإنتاج الأدبي للكاتب العظيم نجيب الكيلاني، إذ عبّر في كثير من روايته عن صورة المرأة التي تعاني من الكثير من المشكلات الاجتماعية عبر رواياته، وعبّر عن الكثير من المشكلات الاجتماعية التي عاشتها المرأة، فقد كانت تكافح وتناضل للحصول على حقوقها وتبحث عن حرياتها وتكافح لتحقيق ذاتها، وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على صورة المرأة الباحثة عن الحرية وتحقيق ذاتها في روايتي "النداء الخالد" و"رمضان حبيبي".

الكلمات الدالة: نجيب الكيلاني، المرأة، النداء الخالد، رمضان حبيبي، الإسلام والمرأة.

The Image of the Woman Searching for Freedom and Self-fulfillment in Najeeb Al-Kilani's Novels: "The Eternal Call, Ramadan Habibi" as a Model

Sura Saleem Abdul Shaheed Al-Mimar
Business Administration Department/ College of Managment and Economics/ University of Babylon

Abstract:

Women played a major role in the literary production of the great writer Najib al-Kilani, as he expressed in many of his novels the image of women who suffer from many social problems through his novels, and he expressed many social problems that women experienced, as she was struggling and struggling to get their rights, searching for their freedoms, and striving for their own realization. This study aims to shed light on the image of a woman seeking freedom and self-realization through the novels "The Immortal Call" and "Ramadan Habibi".

Keywords: Najib al-Kilani, women, the eternal call, Ramadan Habibi, Islam and women.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أولاً– المقدمة:

يعد الفن الروائي في الوقت الحاضر أحد روافد الأدب العربي تعبيرًا عن الواقع الإنساني بكل تفاصيله وتجلياته السياسية والاجتماعية؛ لأن الرواية تحاول عبر سردها أن تكون صورة حية عن واقع ممتلئ بالمتغيرات والأحداث.

ولكون الرواية من أكثر الفنون الأدبية اتصالاً بالمجتمع؛ لأنها تعبر عن مشكلاته وهمومه وتعطي مجالاً للبوح والاسترسال والوصف والتقصي، لذا فقد كانت الرواية البيئة الخصبة لاستجلاء صورة المرأة التي تعبر عن تغير المجتمع، ومن ثم يمكن توظيف صورة المرأة بصفتها أداة فنية لرصد وتتبع وعي المجتمع وعرض قضاياه.

لذلك سأتناول في هذه الدراسة صورة المرأة في الخطاب الروائي عند نجيب الكيلاني وهي من دون شك صورة قد تختلف عن النماذج الأخرى؛ لأن المرأة عند الكيلاني قد حظيت في معظم رواياته بقدر جيد من الاحترام والتقدير واتخذت نماذجاً أبرزت مكانتها وأثرها في المجتمع، ومدى سعيها للبحث عن حريتها والدفاع عن رغباتها وتحقيق ذاتها، وذلك يتضح في روايات "النداء الخالد"، و"رمضان حبيبي"، فالمرأة بعامة كانت شديدة الحضور عند الكيلاني، إذ جعل منها البطلة في بعض رواياته كرواية "النداء الخالد" إذ كانت "صابرين" بطلة الرواية بدون منازع، وكذلك في رواية "رمضان حبيبي" كانت "جليلة" بطلة الرواية.

ثانيًا: مشكلة الدراسة:

لقد عانت المرأة من الظلم في المجتمع وتسلط الرجل بعد عصر صدر الإسلام، ولقد اتهم الكثيرون الإسلام بأنه السبب في اندثار حقوق المرأة، والإسلام برئ من هذا الاتهام تمامًا، بل على العكس منه فقد أعلى الإسلام من شأن المرأة ودافع عن حقوقها، ولم يبخس حقوقها إلا بعد أن اختلط المجتمع بالعادات والتقاليد غير الإسلامية والتأثر بها، ويبرز لنا نجيب الكيلاني نماذجاً من الشخصيات التي حاربت للدفاع عن حريتها بكل قوتها متحدية المجتمع الذي تعيش فيه في روايتي "رمضان حبيبي" و"النداء الخالد"، وتسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن التساؤل الآتي:

إلى أي مدى نجح نجيب الكيلاني في تصوير المرأة الباحثة عن الحرية وتحقيق ذاتها في روايتي "النداء الخالد" و"رمضان حبيبي"؟

ثالثًا: أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. تسليط الضوء على نضال المرأة من أجل الحرية الشخصية منذ عصر الجاهلية حتى العصر الإسلامي.
2. دراسة موقف الإسلام من حقوق المرأة وكيف كرم الإسلام المرأة وأعلى من شأنها.
3. بيان صورة المرأة الباحثة في روايتي "النداء الخالد" و"رمضان حبيبي".
4. إثراء البحث العلمي في أدبيات نجيب الكيلاني، فبالرغم من وفرة إنتاجه الأدبي، لكنه لم يحظ باهتمام الباحثين والدارسين بما يتناسب مع قيمة أدبه.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

رابعًا: منهج الدراسة:

لقد اعتمدت دراستنا على المنهج التحليلي لتحليل نص الرواية، واعتمدت على المنهج الاجتماعي في تحليل الشخصية الروائية النسوية وتتبع حركاتها داخل البناء الروائي كله الذي يمثل الواقع الخارجي أو الواقع الاجتماعي بشكل أو بآخر، واعتمدت على المنهج النفسي لدراسة ما تعتلج به دواخل الشخصية الروائية ونوازعها النفسية ومسوغاتها في اتخاذ القرارات وانتهاج التصرفات، وتجدر الإشارة هنا الى أن هذه الدراسة ليست معنية بالتناول الفني للروايات وإنما بدراسة صورة المرأة الباحثة عن الحرية وتحقيق الذات عبر شخصيات الرواية "جليلة" و"صابرين" في روايتي "رمضان حبيبي" و"النداء الخالد"، ولهذا قسمت الدراسة إلى مبحثين:

المبحث الأول: نضال المرأة من أجل الحرية الشخصية.

المبحث الثاني: المرأة والسعي إلى الحرية وتحقيق الذات في روايات "النداء الخالد"، و"رمضان حبيبي".

المبحث الأول: نضال المرأة من الحرية الشخصية:

كانت دنيا المرأة في الجاهلية تغص بالمفاسد الموروثة والتقاليد البالية والمعالم والشرور إلى أن جاء الإسلام بهدية ووحيه وبنظمه وتعاليمه ونصائحه وتوجيهاته وقيمه ومثله، وعلاقاته الإنسانية السامية فقضى عليها بعد أن حرمها ونهى عنها، فقد كانت المرأة في الجاهلية تعاني من سطوة الرجل وهيمنة المجتمع الذي أجحف حقوقها وأولها حقها في الحياة، فقد كانت المرأة متاعًا يفرض عليها الزواج كما يفرض عليها الزنا والبغاء؟ لم يكن لها الحق في طلب الطلاق، ولا ترث بل كانت تورث كما يورث متاع البيت والأرض والماشية، لا تحق لها الحضانة ولا تستطيع التصرف في أموالها، وفوق كل ذلك كانت تدفن حية عند بعض القبائل العربية ولما أشرقت أنوار الإسلام ألقت ظلالها على حياة المرأة وأخرجتها مما كانت فيه، إذ أعاد لها الإسلام حقوقها وعلى رأسها حقها في الحياة، فقد أصبحت إنساناً معترفًا به قانونًا بعد أن كانت إنساناً لا يعترف بها قانوناً، ومنحها الإسلام الحق في اختيار الزوج وحقها في طلب الطلاق وحق الملكية والإرث والتصرف في أموالها وحق الحضانة ولم يساو بينهما في بعضها الآخر[1: 17].

إن الإسلام قد ساوى بين الجنسية في ما يتعلق بالإيمان والتقوى ووحدة الأصل والجزاء أو العقاب على الفعل، وساوى بينهما في التكريم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ، وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء،الآية: 1).

ولم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة إلا على حساب التقوى والإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات، الآية: 1)، ولم يكن تكريم الإنسان للونه أو أصله أو عرقه، وإنما لما يتمتع به من تقوى وإيمان فحسب، فقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في أهلية التكليف وتحمل الأمانة التي عرضها الله تعالى على

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

السموات والأرض والجبال، المتمثلة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب، الآية: 72)، الواضح من هذه الآية الكريمة أن المقصود بالإنسان المرأة والرجل على حد سواء، وقد عاشت المرأة عقودًا من الزمن بل قرونًا من الزمن تمارس فيها تلك الحقوق التي أقرها لها الإسلام، تتعلم وتأخذ نصيبها في المال والإرث والعمل والخروج إلى ميدان الحرب، وبذلك انتصف الإسلام للمرأة ومتعها بالتملك والمال الموروث شأنها شأن الرجل لقوله تعالى ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (النساء، الآية: 07).

وقد تتميز الشريعة الإسلامية على جميع الشرائع الأخرى وعلى القوانين والنظم الوضعية بأنها فرضت على الرجل أن يدفع لمن يقترن بها مهرًا ويطلق عليه الصداق وذلك في حدود إمكاناته المالية، وفي هذا الجانب يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ (النساء، الآية: 04).

والمهر هو عطاء خالص من الزوج لزوجته، وهذا العطاء هو نحلة أي ليس أجرًا أو ثمنًا بل هو عطاء يوثق المحبة ويربط القلوب ويديم العشرة وهذا الصداق يصبح حقًا خالصًا للمرأة وحدها تتصرف فيه كما تتصرف في جميع أموالها.

وقد ساهمت المرأة في عهد الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– في الشؤون العامة إلى جنب الرجل، حتى أنها شاركت في الجهاد لتوسيع رقعة الدولة الإسلامية سواء في غزوات الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– أم في حروب المسلمين ضد الفرس والروم خارج الجزيرة العربية حيث كانت المرأة تداوي الجرحى في ميدان القتال أو بعيدة عن ميادين القتال، فقد كانت "كعبة بنت سعد" تقيم خيمة بالقرب من المسجد النبوي تداوي فيها الجرحى، فقد عالجت "سعد بن معاذ" من جروحه يوم غزوة الخندق، وكانت لـــ "رفيدة الأسلمية" خيمة قرب المسجد النبوي بالمدينة تداوي فيها الجرحى، وهي أول وأشهر ممرضة في الإسلام، بل شارك بعضهن في القتال جنبًا إلى جنب مع الرجال منهن "أم سليم" التي جاهدت في معركة "أحد" [2 : 79].

وللمرأة أثر فاعل في المجالات السياسية والاجتماعية والمعرفية، تشارك في الحياة العامة برأيها، فكانت تناقش أمور الدين والاقتصاد والاجتماع والسياسة، وأحسن مثال على ذلك أمنا عائشة –رضي الله عنها– التي كانت معينًا للصحابة يأخذون أحاديث الرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– وكانت مرجعًا للعلماء في الفتوى [2 : 951].

إلا أن المرأة لم تحافظ على هذه المكانة المرموقة التي منحها لها الإسلام، فقد تقهقر أثرها الاجتماعي بعد صدر الإسلام نظرًا لما طرأ على المجتمع الإسلامي من تغيرات طغت عليها التقاليد والأعراف التي ابتعدت عن تعاليم الدين الحنيف، والواقع أن الإسلام برئ كل البراءة من أي تمييز ضد المرأة، إلا أن الإسلام ومع كل ذلك لم يمنح المرأة المساواة بالرجل في كثير من الحقوق وهو ما أثار كثيرًا من الجدل والنقاش بخاصة في ما يتعلق بالقوامة والإرث والشهادة والطلاق، فقد جعل الإسلام القوامة للرجل على المرأة في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(النساء، الآية: 34).

وقد أعطيت تفسيرات مختلفة ومتعددة للفظة "القوامة"، فجنحت بعض التفسيرات إلى الجانب الجسمي البيولوجي، ومنهم من جعلها قوامة نفسية سيكولوجية، وذهب فريق آخر إلى أن القوامة تتعلق بالجانب الاجتماعي والاقتصادي، وهي بالرغم من اختلافها إلا أنها في رأيي لا تبتعد عن المفهوم الحقيقي للقوامة وهو سمو درجة الرجل عن المرأة وهو ما زكاه الله تعالى في قوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة، الآية: 228).

واختلف الفقهاء في الآية السابقة، وتفرقوا في تفسير الحديث النبوي الشريف لولاية المرأة، الذي رواه البخاري الذي جاء فيه "لما بلغ النبي –صلى الله عليه وسلم– أن فارسًا ملكوا ابنة كسرى قال: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"، فذهب فريق إلى أن الحديث يشمل كل النساء ومختلف الولايات العامة، إلا أن بعضهم رأى أن الحديث خاصة بالخلافة فقط دون غيرها من الولايات الأخرى أي بما يسمى في عصرنا الحالي برئاسة الدولة وهي الولاية العامة العليا التي تقتصر على الرجل دون المرأة لما تتطلبه من صفات يتحلى بها الرجل كرباطة الجأش وتغليب المصلحة العامة على العاطفة والتفرغ التام لمعالجة قضايا المجتمع، إلا أن بعض الفقهاء يرون أن الحديث السابق حديث يفسر في سياق ما ورد فيه أي في الزمن الذي قيل فيه، وفي الحادثة التي كانت سببًا فيه، فقد روي أن كسرى مزق كتاب النبي –صلى الله عليه وسلم – إليه، فدعا عليه النبي بأن يمزق ملكه، فسلط الله عليه ابنه فقتله، ثم قتل إخوته، ثم مات مسمومًا، فتولى أمرهم ابنه كسرى، فثبت دعاء النبي وتمزق ملكهم كل ممزق، فالحديث إذن عند هؤلاء خاص بقصة كسرى ويقوم فارس [2 : 304].

المبحث الثاني: المرأة الباحثة عن الحرية في روايتي "النداء الخالد"، و"رمضان حبيبي":

إن اللغة أيضًا تقف حاجزًا في تحقيق تحرر المرأة من هيمنة الرجل، وأنها لا تسعف المتشدقين بتحرر المرأة ويريدون الدفاع عن حقوق المرأة وتخليصها من سطوة الرجل، هؤلاء الذين انبروا للكتابة عن قضايا المرأة، فإن اللغة تقف لهم بالمرصاد فلا تسعفهم في خطاباتهم في كثير من الحالات، فالكتابات العربية المتعلقة بالمرأة سواء قام بها الرجال أو النساء التي تريد أن تعطي لنفسها أبعادًا تحررية تنسى أن اللغة لا تسعف في الحديث عن التحرر [3: 35–36].

نجد في لسان العرب أن "المرأة الحرة هي الكريمة من النساء" [4 : 215]، وفي الرائد: امرأة حرة أي "هي المرأة الطليق" [5: 125]، وفي المعجم الوسيط للفظة "حرية" معاني: "الخلوص من الشوائب أو الرق أو اللوم، والحرية كون الشعب أو الرجل حرًا، والحرية في الاقتصاد: مذهب اقتصادي يرمي إلى إعفاء التجارة الدولية من القيود والرسوم [6 : 175].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أما مفهوم تحقيق الذات فيعني تحقيق الحرية الفردية للمرأة بمعنى تحريرها من كل الضوابط الاجتماعية والدينية والاقتصادية التي ترسخت في المجتمع عبر العصور والأزمة، وهي أيضًا تعني صراع المرأة النفسي الذي تعانيه جراء الاضطهاد الذي تخضع إليه، فالمرأة تعيش ازدواجية الشخصية فهي من ناحية ترغب في تحقيق ذاتها وإثبات وجودها، ومن ناحية أخرى فهي تستسلم بوعيها وبلا وعيها إلى سجنها الداخلي الذي تقبله والذي ترسخ في أعماقها [7: 165].

وقد دخل مصطلح تحرير المرأة الوجود العربي عن طريق نخبة من المفكرين والمتفقين والدعاة الذين تزعموا الإصلاح الاجتماعي والديني والسياسي في العالم العربي والإسلامي من أمثال: جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، رشيد رضا، عبد الحميد بن باديس، البشير الابراهيمي، قاسم أمين، علال الفاسي، وعلى الرغم من الاختلاف بينهم في طريقة طرح أفكارهم إلا أنهم يجمعون على ضرورة البحث عن أسباب تخلف المجتمعات العربية وسبل بعث النهضة الفكرية والاجتماعية وأن أسباب هذا التخلف هو الظلم والاستبداد وانعدام العدالة الاجتماعية والمساواة بين أفراد المجتمع [7: 166] .

وقد اختلف رواد النهضة في التعبير عن آرائهم تجاه قضايا متعددة منها وعلى رأسها قضية تحرر المرأة، فمصطلح تحرير المرأة قد دخل إلى الثقافة العربية الحديثة بوجود كوكبة من المفكرين العرب من أمثال قاسم أمين الذي كان يرى أن مفهوم التحرر هو النهضة بالمرأة فكريًا وثقافيًا وضرورة تعليمها القراءة والكتابة لتكون متأهلة لأداء مسؤولياتها الأسرية والاجتماعية جنبًا إلى جنب مع الرجل حيث دعا إلى ضرورة البحث عن سبل الرقي بالمرأة وإصلاح المجتمع، فقد ربط بين قضية المرأة وقضية الوطن وارتقاء الأمم، فارتقاء الأمم يحتاج إلى عوامل مختلفة متنوعة من أهمها ارتقاء المرأة، فانحطاط الأمم ينشأ من عوامل مختلفة ومتنوعة أيضًا من أهمها انحطاط المرأة، فهذا الانحطاط في مرتبة المرأة هو أهم مانع يقف في طريق الإصلاح [8: 97–98].

وتجدر بنا الإشارة في هذا الإطار إلى أن ظهور الأدب النسوي والدعوة إلى تحرير المرأة كان وثيق الصلة بحركة التحرر النسائية في الغرب والتي أطلق عليها مصطلح "النسوية" التي هي في أصولها حركة سياسية تهدف إلى غايات اجتماعية تتمثل في حقوق المرأة وإثبات ذاتها ودورها [9: 12].

وقد تعددت الكتابات الداعية إلى تحرير المرأة سواء التي ألفها الرجال أم التي أنشأتها النساء وبتعددها اختلفت من حيث اتجاهاتها وفلسفتها وأهدافها، ونتج عن ذلك ظهور تيارات في الكتابات التي تناولت قضايا المرأة وتنوعت بين كتابات ذكورية وأخرى نثوية، وقد تناول نجيب الكيلاني قضايا المرأة العربية في أغلب رواياته، فدافع عن حقها في الحياة والحرية والعمل والتعليم والعيش بكرامة، وقد استطاع أن يصور صراع المرأة مع العادات البالية والقيم المتزمتة التي حالت دون تحقيق أحلام المرأة خاصة الريفية التي حددت وظفتها بأعمال البيت أو الحقل، ولعل نجيب الكيلاني سعى في النماذج التي سنوردها إلى كشف تلك الحقائق، وربما تصحيح تلك النظرة الخاطئة إلى مكانة المرأة ومهمتها في المجتمع [10: 32]، ولعل من أبرز النماذج التي جسدت سعي المرأة إلى الحرية وتحقيق الذات في رواياته كلاً من: شخصية "صابرين" في رواية "النداء الخالد"، وشخصية "جليلة" في رواية "رمضان حبيبي".

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

أولاً: شخصية "صابرين" في رواية "النداء الخالد": رصد الكاتب في هذه الرواية الواقع السياسي لمصر إبان الحرب العالمية الأولى وما جرته من ويلات على حياة الشعب المصري لاسيما في الريف، ورصدت المقاومة الوطنية للإنجليز وقيام ثورة (1919م)، وجسدت الممارسات الوحشية للإنجليز ضد المصريين بخاصة ما تعلق بإجبار الشباب والرجال الأشداء على العمل في خدمة المعسكرات الإنجليزية وتهيئة الطرقات والسكك الحديدية وتغريبهم عن ديارهم بالقوة.

في غضون هذه الظروف المأسوية يربط الكاتب بين حرية الوطن وحرية المرأة فيقدم لنا شخصية "صابرين" على أنها فتاة ريفية تلقت مبادئ القراءة والكتابة منذ صغرها على يد محصل الضرائب في قرية "لطيف أفندي"، وأصبح في مقدرتها أن تقرأ الجرائد والكتب كالمأثورات النبوية وقصص "الأميرة ذات الهمة"، و"الزير سالم" و"سيف بن ذي يزن"، وبعض الصحف والمجلات، وقد خلقت لها الكتابة والقراءة عالمًا جميلاً رائعًا وخاصة بعد أن احتجزها أبوها داخل أسوار البيت بعد أن بلغت سن النضج، ولم تعد ترى الناس إلا من قضبان النوافذ والأبواب الشبه مغلقة [11: 52].

في هذا السجن العالي الأسوار والمغلق الأبواب نشأت "صابرين" ابنة عمدة قرية "شرشابة" من مركز "زفتي"، ولعل اللافت للنظر أن هذه الفتاة الريفية المحدودة الثقافة تقرأ كتابًا من كتب "قاسم أمين"، وتتأثر بأفكاره في ما يخص تحرير المرأة، ليس هذا فحسب بل إنها تجسد هذا الواقع في صراعها مع الظروف القاسية، وتدافع عن حريتها وأهليتها في التعلم، مما يجعلها تنتقد بشدة النظرة القاسية لها بوصفها فتاة حصرت مهمتها في منزلها، وتطالب بالتغيير، وقد عبرت عن ذلك في رسالة بعثت بها إلى "أحمد أفندي شلبي" وهو باش مهندس تخرج من جامعة القاهرة، وشارك بقوة في المقاومة ضد الانجليز، وقد نشأت علاقة حب بينه وبينها على الرغم من العداوة التي كانت سائدة بين العائلتين قبل أن يتدخل الشيخ "عنبة" لإصلاح ذات البين بين الأسرتين لا سيما بعد توبة العمدة وإقلاعه عن ما كان يقوم به من أعمال استبدادية ضد الفلاحين [11 : 53].

كتبت تقول في الرسالة: "إن بنفسي حديثًا أريد أن أفضي به إليك، وقد يكون حديثي عن الحب لكنه ليس خارجًا عن معاني الثورة الشاملة، أشعر يا أحمد أنني أتغير يومًا عن يوم، لم أعد "صابرين" التي تعرفها في السنوات الماضية، إنني أشيق بالسجن الذي أعيش فيه، أضيق بالتقاليد القاسية التي أرزح تحت عبئها، أشعر أن ثورة أخرى تثور في دمائي، وليس ذلك من الانحراف في شيء، إنني انسانة حية ذات كيان يلتهب مشاعر وأفكار، إن "قاسم أمين" الذي قرأت يكتب كلامًا غريبًا عن المرأة وحقوقها لكنه ليس غريبًا بالنسبة لي، فإنني أحس باستجابة حقيقية لكلمات هذا، إنه يطالب بتعليم المرأة، وهذا حق لا أثر فيه للباطل، ويطالب باحترام انسانيتها الرجل ومشاعرها، وإعطائها الحرية للتعبير عن نفسها في حدود الأخلاق المرعية، وهذا حق أيضًا، ويريدها أن تحمل جزءًا من التبعة الملقاة على عاتق المجتمع نساءً ورجالاً لكنني لا أوافق "قاسم أمين" في مسألة السفور، هذا رأيي. وباختصار فإن هذا الرجل عظيم يرسي قواعد ثورة اجتماعية إلى جانب الثورة السياسية كما يقول أحد الذين كتبوا عنه، وعن مقالاته في الصحف.

أخي أحمد.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

يجب أن أكون أنثى حرة متعلمة" [11 : 134].

هذه هي جملة الأفكار التي كانت تؤمن بها هذه الفترة الريفية، وهي أفكار تنم عن وعي وجودي راسخ وإثبات للذات المفردة المستقلة، وهو وعي يستدعي مقاومة اليقين الذكوري الراسخ بأن لا جدوى من تعليم المرأة طالما أن مآلها في النهاية إلى بيت الزوجية، وقد ولد هذا الوعي بالحرية وبالوجود الذاتي المستقل صراعًا عنيفًا مع محيطها وكان الصراع بدءًا من والد صابرين الذي لا يعترف أصلاً بهذه المبادئ التي جاء بها هذا الرجل – الكافر– في معتقده.

ويظهر هذا الصراع الفكري بين صابرين ووالدها من خلال هذا الحوار الذي دار بينهما:

"فيم كنت تقرأين؟

وصلتني جريدة الجمهور.

إنها جميلة وإن كانت ناقصة.

ما وجه النقص فيها؟ إنها جريدة محلية صغيرة.. ثم إنها تجربة.. مجرد تجربة.

قالت صابرين:

ليس فيها شيء عن المرأة.. ليتهم يعيدون كتابة مقالات "قاسم أمين" فيها.

قال أبوها في اعتراض:

أعوذ بالله.. إنه رجل خارج عن الدين.

من قال ذلك يا أبي؟ نحن نظلمه.

يا بنيتي.. الحريم للبيت ولخدمة أزواجهن وأولادهن ولا شيء غير ذلك.

قالت صابرين:

ثلاثة أرباع نساء القرية يذهبن للعمل في الغيظ.

وماذا في ذلك؟

أعني أن الغيظ كالمدرسة كالدواوين فكيف نصرح للمرأة بالذهاب إلى الغيظ ولا نسمح لها بأن تتعلم أو تتوظف؟" [11 : 146–147].

وينتهي الحوار على هذه الشاكلة، فكل منها متشبث برأيه؟ فأبوها رجل فلاح غير متعلم لا يرى إلا ما تمليه عليه تقاليده التي لا يمكن أن يتنكر إليها، وهي متشبعة بآراء قاسم أمين ولا تريد أن تحيد عنه قيد أنملة، وترى أن هذه الأفكار لا تخرج عن الدين ولا تتعارض مع التربية الإسلامية.

وهذه الفتاة تملك جرأة نادر الوجود في محاور أبيها ومجادلته في موضوعات تعد في تلك القرية من الموضوعات المحرمة أو لأقول من الموضوعات التي لا تجرأ الفتيات القرويات على الاقتراب منها أو حتى التفكير فيها، ومع ذلك فإننا نجد "صابرين" تصرح برأيها الرافض لزواجها من ابن خالها لأنها لا تحبه، وإنما ترغب في الزواج من أحمد شلبي الذي تحبه، لذلك نجدها تقول لوالدها بكل جرأة:

"أنا لا أريد أن أتزوجه.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

وانتفض أبوها جالسًا، وقال وهو يرمقها بنظرات حائرة:

لعلك تمزحين؟

أنا أعي ما أقول.. لا أريد أن أتزوجه [11 : 148].

ولا تكتفي بهذا الرفض بل إنها تجادل والدها وتذكره بأنه الشرع يفرض على ولي الأمر أن يأخذ رأي الفتاة في زوجها مما يغضب والدها فيصرخ قائلاً:

"جميل.. جميل.. خزعبلات ملأت بها رأسك من الكتب والمجلات الخليعة، هذه هي نتيجة مبادئ قاسم أمين ومن على شاكلته [11 : 149].

ثم يخبرها في صرامة أنها ستتزوج ابن خالها على الرغم منها؛ لأن أباها قد قال ذلك وأن كلامه كلام رجل..

ومع ذلك فهي لا تتوقف عن الجدال لتقول مرة أخرى:

كنت أحسبني أطالب بحقي الشرعي من أبي الذي يحبني ويرجو سعادتي.

وهو ما جعل أباها يثور قائلاً:

"الشرع أنا الذي أعرفه لا أنت وسعادتك أعرف أين تكون، أنت طائشة تعيشين في عالم من الخزعبلات والبدع [11 : 148].

وقد كانت لهذه الفتاة من الشجاعة والقوة النفسية ما جعلها تخبر أباها عن الفتى الذي تريد الزواج منه، وهو الأمر الذي جعل الأب يجن جنونه ويتمنى في تلك اللحظة أن ينقض على عنقها ويعتصره اعتصارًا، وقذف بكوب الليمون في وجهها صارخًا:

"أخرجي من أمامي يا عاهرة.. أخرجي [11 : 148].

لكن هذا الأب الغاضب يناقش مع زوجته زواج ابنته ويبحثان الموضوع من كل زواياه، وتوصلاً إلى نتيجة مفادها أن "صابرين" قليلة الأدب ومخطئة ووقحة، وأن العمدة قد سبق أن قطع على نفسه وعدًا بتزويج ابنته من ابن خالها، إلا أنهما يريان أن أحمد أفندي شاب ممتاز ويفضل على ابن الخال، وقد حاول الشيخ "عنبة" إمام القرية هو الآخر اقناع العمدة بزواج ابنته بأحمد أفندي وهو ما تنتهي به الرواية.

إلا أننا عند قراءة هذه الرواية لاحظنا بعض الأخطاء الفنية التي وقع فيها الأديب منها بخاصة عدم تناسب الأدوار مع الشخصيات التي أسندت إليها، والربط غير المنطقي للأحداث، والمبالغة في سرد بعضها، واللاواقعية بعض ما روي من حوادث، من ذلك أنه أسند دور الفتاة الواعية المتحررة إلى صابرين وهي فتاة ريفية لا تكاد تعرف المبادئ الأولى للقراءة والكتابة، وقد تعلمتها من محصل الضرائب، فهي لم تطأ قدماه المدرسة، فكيف يعقل أن تقرأ هذه الفتاة كتب قاسم أمين وتفهم مبادئه وتسير على منوالها.

وأن بعض الأحداث لا تتناسب والعادات والتقاليد التي درجت عليها القرية، علمًا أن تلك الأحداث وقعت فيما يقارب سنة (1914م) أي عند وقوع الحرب العالمية الأولى، وفي مجتمع مصري محافظ، فكيف تجرؤ فتاة على مناقشة والدها العمدة في أمر زواجها؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أحمد أفندي شلبي وهو الفتى

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

المتعلم، وبالرغم من حبه لصابرين، لا يجرؤ على الحديث مع والده أو حتى أمه في أمر خطوبة صابرين، ويلجأ إلى الشيخ "عنبة" ليتوسط له عند والده، فعندما قرأ "أحمد" رسالة صابرين أحس بأنها أكثر شجاعة منه حيث لم تعد صابرين في نظره مجرد فتاة ريفية ساذجة، وهذا ما ينمي به حبه لها، وتقديره لشخصيتها بل إنه رأى أنها أكثر سجاعة وتورية منه؛ لأنه لم يجرؤ على أن يفاتح أباه في أمر زواجه [11 : 135].

وهناك مفارقات كثيرة لا تكاد تتكئ على منطق ولا موضوعية منها مثلاً ادعاء الكاتب أن المربي اليهودي الخواجة "بيني" يمتلك خمارة بوسط القرية، وقد كان السبب إفلاس "عبد المتعاطي الشافعي" وغيره من أهل القرية، وكانت هذه الفرصة الذهبية للخواجة "بيني" ورفاقه، فقد كانت الخمارة التي يديرها الخواجة تقع في أوسع وأهم شارع من شوارع القرية [11 : 45]، وهذا أمر نشك في حدوثه في قرية مصرية أيام الحرب العالمية الأولى، فكيف يسكت أهل هذه القرية الطيبة على منكر كهذا.

ثانيًا: شخصية "جليلة" في رواية "رمضان حبيبي": أما رواية "رمضان حبيبي" التي ركزت أحداثها على الصراع العربي الإسرائيلي في حرب 6 أكتوبر سنة (1973م)، وقد امتزجت فيها الأحداث السياسية بالأحداث العاطفية المتمثلة بقصة الحب التي عاشتها "جليلة" مع "أحمد"، بخاصة التي لم تتوج بالزواج إلا بعد تذليل ما كان بينهما من خلافات في وجهات النظر لا سيما ما يتعلق بفهم كل منهما للحرية ووجودها، لأن جليلة تنظر إلى الحرية بمعناها الواسع الذي لا تحده حدود، فهي امرأة متأزمة نفسيًا ترفض أن تنطمس هويتها ضمن هذا المجتمع الذي لا يعترف لها بشخصيتها المستقلة، فهي فتاة مريضة بالانفتاح.

ولذلك تسعى إلى إثبات ذاتها المنفردة، حيث "إن لجليلة نظرتها الخاصة للحياة، ودراستها الاجتماعية والنفسية إلى جانب عملها كأخصائية اجتماعية، قد جعلا منها فتاة مريضة بما يسمى الانفتاح من الانفتاح على الحياة والناس والأفكار، وتعتقد جليلة أنه من الضروري أن تدرس كل شيء، وتتمعن في أي حدث، وتدرس كل شخصية، وتحاول جاهدة أن تبحث عن الدافع وراء كل سلوك أو تصرف، فهي في نظر نفسها منفتحة متعمقة، ولا يهم بعد ذلك أن يرى الناس عكس ذلك، ولا قيمة لأن يكون انفتاحها ضربًا من التحلل أو أن يكون تعمقًا غرورًا أكثر منه حقيقة، إنها تستمتع بشخصيتها بانفتاحها وتعمقها للشخصيات والأحداث [12: 11].

فهي تعاني من الأزمة الوجودية بالرغم من انفتاحها وتعمقها، فهي تعيش صراعًا خطيرًا في نفسها، وتحاول أن تختار بين طرفين نقيضين، بين "أحمد عبد الفتاح" ذلك الشاب الهادئ الوديع الخجول المتدين [12: 4]، وبين "فتحي" صديق شقيقها الذي له قصص طويلة، وشعر مرجل، ويدخن نوعًا من السجائر الفاخرة مستوردة من الخارج، خال من العقد والقيود والمخاوف [12: 5].

لذلك فهي دائمة المقارنة بينهما، حيث شعرت بشيء من الحرج، ووجدت نفسها تقارن بينه وبين "فتحي" صديق شقيقها [12: 5].

إن جليلة تمارس حريتها على نطاق واسع ودون حدود حتى وإن كان ذلك مخالفًا لبعض القيم الدينية والاجتماعية، فهي لا تمانع في أن يخطبها "أحمد" من نفسها في غرفة الاخصائية الاجتماعية بالمدرسة الخاصة، وقال أحمد في بساطة غريبة "جئت طالبًا يدك.. [12: 7].

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ولعل جليلة تفهم الحرية على أنها الخروج عن ضوابط الأسرة أو بالتخلي على التقاليد الاجتماعية لذلك فهي لا ترى حرجًا في أن تمضي أوقاتًا للمتعة والتسلية مع "فتحي" في كازينو "الشجرة"، "وهرعت جليلة إلى الخارج، كان "فتحي" صديقها وصديق أخيها في انتظارها، كازينو "الشجرة" مكان هادئ جميل على شاطئ النيل، صفحة الماء تمتد على مساحة كبيرة، وعلى صدرها التجعدات والتنهدات والنسمات والذكريات، وكان في انتظارها [12: 13].

فحريتها لا تمنعها من الاستمتاع حينما يخفض الرجل رأسه ويقبل يدها "تناول يدها وصافحها في حرارة ثم قبل ظاهر يدها، ابتسمت.. لكم يحلو لها أن ترى رجلاً يخفض رأسه من أجلها، ويلثم يدها كالعابد الخاشع [12: 13].

إن جليلة تعيش بمنطق أن وجودية الإنسان تتمثل بحريته ورفض ما هو مفروض عليه من المجتمع، هذا المجتمع الذي تتذمر منه، وتحلم بمجتمع جديد له تقاليد وعادات جديدة، "لشد ما تتضايق من السكون والتزمت والتقاليد كانت دائمًا تحلم بمجتمع جديد له تقاليد وآداب جديدة من صنع أفكارها، وعلى هوى خيالها [12: 5].

تلك هي جليلة المتحررة الراغبة في تحقيق وجودها الإنساني، الباحثة عن تحقيق ذاتها بوعي وإرادة وخيار حر بغض النظر عن أي اعتبار آخر، وتلك هي وجودية سارتر التي أعلنت أن الإنسان سيد مصيره، وأنه قادر على خلق ذاته وحيدًا مستقلاً عن الآخرين يختار هذه الذات في حرية تامة لا يؤمن إلا بصنع يديه، ونتاج عقله، ويعيش في تضاد بين الصدق واليقين.

لذلك تخرج جليلة من كازينو "الشجرة"، وهي أكثر قلقًا مما كانت عليه قبل دخولها الكازينو، "ومضت في طريقها، المدينة ذات الوجهين، ليل ونهار، صدق وكذب، خير وشر، أحمد وفتحي، وأنا المنحوسة جليلة أعيش في منطقة شبه الظل، أتأرجح بين النظريات والأفكار التي أقرأوها عن الآخرين، وأتذبذب بين أذرع الراقصين، وقبلات الخاطفين، وبين تزمت أحمد وانطلاق فتحي، وإيمان أمي وعصيان صديقتي، أحل مشاكل الناس وأنا نفسي مشكلة عويصة أعقد من مشكلة الشرق الأوسط [12: 5].

وتبقى جليلة أسيرة الحيرة والقلق تنقاد لنزواتها ورغباتها وتنصاع لرغبات "فتحي" الذي يطلب منها السفر معها إلى بيروت، فلا تمانع وتسافر دون أي اعتراض من أهلها على الرغم من أنها تخبرنا في بداية الرواية بأنها متدينة "كانت الرحلة مذهلة بالنسبة لجليلة، كانت بيروت تكتظ بالناس، والمجالس غاصة بالمغامرين والتجار ورجال السياسة والأدب والاجرام وأسواق الرقيق، حرية مخيفة، وانفجارات وأحيانًا اغتيالات، ذهب ودماء وورق وبضائع، وغابات من الوحوش الأنيقة، والناس يأكلون ويشربون ويغنون ويصخبون ويسبون ويبيعون ويشترون [12: 23].

إلا أن اللافت للنظر في هذا السفر أن جليلة لم تعبث في شرفها على الرغم من أن السفر دام ثلاثة أسابيع ومع رجل مثل فتحي الذي عرف عنه بأنه يسعى جاهدًا لتحقيق شهواته المادية ولو على حساب كرامته، وخيانة وطنه، فقد كان عبدًا لأهوائه ونزواته ومطاردته النساء، فهو القائل "لم أكن أفكر في وطن ولا شرف ولا كرامة،

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

كان أمامي المال والنساء والرجال المتأنقون لم يكن يربطني بالناس أو بالوطن شيء يذكر، ولا أعرف الله المعرفة الحقيقية[12: 81].

كيف تنجو فتاة ضعيفة مثل جليلة من براثن هذا الوحش البشري؟ الذي يعيش معها ثلاثة أسابيع في بيروت، ويدعها تعيش في غرفة خاصة في فندق "بلازا" بشارع الحمراء "ولم ينل منها فتحي سوى الجلسات والرقصات والقبلات المسروقة التي لم تشعر لها بطعم".

فالحقيقة أن مثل هذه التصريحات التي نجدها على لسان الروائي نجيب الكيلاني من خلال السارد لا تستقيم وهي بعيدة عن الواقع الذي تعيشه جليلة.

ونجد في نهاية هذه الرواية أن جليلة تتعرض إلى صدمة موجعة تزعزع كيانها وتجعلها تعيد حساباتها وتغير نظرتها إلى كثير من النظريات التي كانت تؤمن بها، فقد ألقي القبض على فتحي بتهمة الخيانة الكبرى أو التجسس على الوطن لحساب العدو، وقد حكم عليه بالإعدام أولاً ثم خفف عنه الحكم عندما اعترف بكل شيء، وقد ساعد ذلك التحقيق والقبض على كل المتورطين في تلك القضية، وهذه الصدمة أثرت إيجابًا على جليلة هذه الشخصية النامية المتطورة عبر أحداث الرواية.

كذلك فقد تأثرت جليلة بالحوارات والجلسات التي كانت تجلسها مع "عبد الفتاح" والد أحمد، وكذلك الحوارات المتكررة مع "أحمد" في قضايا الحب والدين والوطن والجهاد والاستشهاد مما جعل جليلة تغير موقفها من "أحمد" الذي كانت تتهمه بالرجعية والتعصب والتخلف، إذ أصبحت تميل إليه وتبتعد عن صديقها السابق "فتحي" ذلك الإنسان المهزوم المتخاذل الذي كان رمزًا للسقوط الفكري والانحلال الأخلاقي والتردي السياسي، حيث كان همه الوحيد هو جمع المال الوفير عن طريق العمل جاسوسًا لحساب إسرائيل.

كل ذلك جعل "جليلة تخوض معتركًا نفسيًا عنيفًا، التجربة مريرة، فتحي وخديعتها فيه، ذهابها إلى لبنان بغرض الفسحة، الخونة يتخذونها ستارًا لمطامعهم الدنيئة، لولا لطف الله لنشرت صورتها في الصحف، وتناولتها الألسن في كل مكان، وتلوثت سمعتها، إن حادث فتحي كان كالصفعة المباغتة التي أيقظتها من غفلتها [12 : 42].

وتستيقظ جليلة من غيها وتدرك أن لها مهمة ينبغي أن تقوم بها لخدمة هذا الوطن، فتشارك في المقاومة الشعبية بالسويس حيث تشتغل بتمريض جرحى الحرب، فكانت "تضمد الجرحى، وتنتقل من مكان إلى مكان في عربة الإسعاف، وكانت القذائف تنهال على السويس صباح مساء.. [12 : 92].

وينهي نجيب الكيلاني الوراية نهاية سعيدة حيث توافق جليلة على الزواج من أحمد، ويتضح ذلك في هذا الحوار الذي دار بينهما أثناء زيارة جليلة لبيت أحمد بعد خروجه من السجن الإسرائيلي: وعندما أوشكت من الاقتراب منه همس قائلاً:

"متى يا جليلة؟

أسأل أمي..

لماذا تماطلين؟.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ابتسمت وقالت: "لقد انتهت المعركة.

المعركة لم تنتهي بعد.

قالت في غضب مفتعل: إذن لا زواج بعد المعركة، منذ متى توقفت المعارك؟ لابد أن نتزوج، وننجب أطفالاً أصحاء ليواصلوا المعركة وينتصروا.

قالت وهي تخفض رأسها في حياء:

موافقة.

صاح بطريقة أفزعها:

بشرط

ما هو؟

قال أحد:

الزي الشرعي.

هذه مسألة شكلية.

الشكل والمضمون يا جليلة كيان واحد

طأطأت رأسها ثانية وقالت:

موافقة.

أخرج المصحف من جيبه ثم وضعه فوق أيديها وهو يقول:

هذا عهد الله [12 : 126-127].

ويهذا تكتمل صورة جليلة التي وقفت مواقف مختلفة امتزجت فيها الحرية المطلقة دون مراعاة لأية قيمة اجتماعية أو مبدأ ديني، وبين مواقف ملزمة فيها بدورها الاجتماعي المنوط بها وفق ما ترسمه الشريعة الإسلامية.

ولعل الروائي أراد من هذه الشخصية ومن النهاية السعيدة التي رسمها لها أن يؤكد أن الشر نهايته قريبة ومؤلمة وأن الخير هو الذي ينتصر في النهاية.

ويظهر ذلك على مستويات مختلفة ومن حوادث الرواية وشخوصها، أولها أن فتحي صديق جليلة السابق تنتهي حياته نهاية بفاجعة مأساوية، إذ أقدم على الانتحار بعد إلقاء البوليس القبض عليه بتهمة التجسس لحساب العدو الإسرائيلي، وثانيًا انتهاء حرب رمضان بانتصار العرب على اليهود، وربما على العالم كله مما أبدوه من اتحاد وقوة في المشاركة في الحرب سواء من العمليات العسكرية على جبهات القتال أو من طريق قطع العلاقات الدبلوماسية مع الدولة المساندة لإسرائيل، أو قطع البترول على الدول المؤيدة لإسرائيل، مما أحدث شرخًا عميقًا سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، داخل دولة إسرائيل نفسها، وهو الأمر الذي وضع حدًا ونهاية لأسطورة الجيش الذي لا يقهر أمام زحف الجيوش العربية.

وأخيرًا انتصار جليلة على نفسها والخروج من حياة الاغتراب والقلق والاكتئاب النفسي إلى حياة الأمن والاستقرار، والتصالح مع الذات، فلم تعد جليلة المنحوسة التي تعيش في الظل بل صارت جليلة التي يغرقها

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

طوفان من السعادة، جليلة الممرضة التي تقدم يد العون إلى مرضى وجرحى الحرب، جليلة الاجتماعية المقبلة على الحياة الزوجية مع أحمد وكلها أمل في مستقبل واعد لا تشوبه شائبة ولا يعكر صفو أيامه معكر ولا منغص [12 : 126].

الخاتمة:

من الدراسة السابقة توصلنا إلى النتائج الآتية:

1- لقد شكلت روايات نجيب الكيلاني محاكمات كتابية للمجتمع وتعرية لازدواجيته وكشفاً لزيفه ونفاقه، هذا المجتمع الذي يبارك أعمال الذكر ويسمح له أن يفعل كل شيء دونما أية إدانة، وبالمقابل يكشر عن أنيابه كلما تعلق الأمر بالمرأة، فيمنعها من عمل أي شيء لا لشيء سوء لأنها امرأة، واتضح ذلك في موقف "جليلة"، و"صابرين" اللتين وقفتا ضد المجتمع الذكوري الذي يعيشان فيه وأفكاره المنتشرة في عصرهما.

2- اتهم بعضهم الإسلام بأنه السبب في انحطاط مكانة المرأة، والإسلام برئ تمامًا من هذا الادعاء، فقد جاء الإسلام ليعزز مكانة المرأة ويرفع من شأنها ونص على حقوقها، ولم تنحط مكانة المرأة وعانت من التسلط الذكوري إلا بعد أن أدخل على المجتمع الإسلامي الكثير من التقاليد التي لا تمت للإسلام بصلة، ومن هنا ظهرت الحركات الفكرية التي تناضل من أجل المرأة لكن يبقى الإسلام هو أول من كرس حقوقها ومكانتها العظيمة في المجتمع.

التوصيات:

توصي الباحثة بـــ:

1- لابد من التصدي لمن يدعون أن الإسلام السبب في انحطاط مكانة المرأة لأن هذا الادعاء غير صحيح ولابد من الرد عليهم بكل قوة لأن الإسلام أول من أعلى من شأن المرأة وكرمها.

2- ضرورة الاهتمام بدراسة بأدب نجيب الكيلاني لما تحويه كتاباته من روائع أدبية مع الأسف لم يسلط الباحثون والدارسون الضوء عليها.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

المصادر

القرآن الكريم.

[1] أحمد خيرت، مركز المرأة في الإسلام، دار المعارف– القاهرة، ط3، 1983م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[2] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تح: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة- بيروت، ج6، د.ت.

[3] محمود نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف في المرأة والكتابة والهامش، دار افريقيا الشرق- الدار البيضاء، 1988م.

[4] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر- بيروت، ج4، 2000م.

[5] جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين- بيروت، ط2، 2001م.

[6] إبراهيم مصطفى، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، دار الدعوة- إسطنبول، ط2، 1987م.

[7] بوجمعة بوحفص، تجليات صورة المرأة في روايات نجيب الكيلاني، أطروحة دكتوراة، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، 2014/ 2015م.

[8] قاسم أمين، الأعمال الكاملة- تحرير المرأة، تح: محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- القاهرة، 1976م.

[9] يمنى طريف الخولي، النسوية وفلسفة العلم، مجلة عالم الفكر، المجلة الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، مج 34، ع02، 2005م.

[10] طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، دار المعارف- القاهرة، ط4، 1994م.

[11] نجيب الكيلاني، النداء الخالد، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، 2005م.

[12] نجيب الكيلاني، رمضان حبيبي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط4، 1999م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq